

القضاء والقدر لإبراهيم بن محمد البيهقي- دراسة تحليلية

أ.د. عقيل جاسم دهش

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

يرمي البحث الى بيان موقف البيهقي من مسألة القضاء والقدر وما جاء في كتابه (القضاء والقدر) من تقريرات كثيرة وقف عندها واستدل عليها من القرآن والسنة النبوية.

ويتلخص منهج البيهقي في كتابه بالاستشهاد أولاً بالنصوص القرآنية ثم أحاديث النبي وأقوال الصحابة والتابعين والرواة والمحدثين والإخباريين.

ويلاحظ أنه يورد أسانيد الأخبار والأحاديث وقد يذكر حديثاً بعينه أو يروي الخبر نفسه من طرق مختلفة، ومما يلاحظ أيضاً أنك لا تجد في الكتاب شرحاً ولا تعليقا إلا ما ندر، ولا يعدو الكتاب أن يكون تجميعاً للنصوص حسب موضوعاتها على غرار كتب الاختيارات.

وينقسم البحث الى مدخل ومبحثين، تضمن المدخل نبذة عن حياة المؤلف، وتناول المبحث الأول موقف البيهقي من القضاء والقدر، وتندرج تحته خمس فقرات هي:

-موقف البيهقي من تقدير المقادير وتدوينها في الذكر

- موقفه من المسح على ظهر آدم وخروج الذرية

- موقفه من تقدير أفعال العباد

- موقفه من الإيمان بمشيئة الله

-موقف من دخول الناس الجنة

أما المبحث الثاني فتناول استدلالات البيهقي على القضاء والقدر، ويشمل خمس فقرات أيضاً هي:

- ما استدل به الصحابة وأعلام الدين

- النفع والضرر كلاهما بيد الله عز وجل
 - بلوغ الإيمان باللطف الإلهي لا بمجرد العمل
 - كل إنسان يبعث على ما مات عليه:
 - الهداية والضلال من عند الله سبحانه
- مدخل: نبذة عن حياة المؤلف:

هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري الخسروجدي الفقيه الشافعي المعروف والحافظ الكبير المشهور فارس ميدان الحديث وأحذق رجالاته وأحدهم ذهنا وأسرعهم فهما وأجودهم قريحة. يكاد يجمع الإخباريون وأصحاب التراجم بأنه عالم كبير فاق علماء عصره في الفقه والحديث والتصنيف ونشر العلم ونصرة للمذهب الشافعي الذي ينتمي إليه، قال عنه السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى): كان الإمام البيهقي جبلا من جبال العلم فقيها جليلا وحافظا كبيرا ونحيريا زاهدا ناصرا للمذهب الشافعي أصولا وفروعا أحد أئمة المسلمين وهداة المؤمنين والدعاء إلى حبل الله المتين^١، كما قال عنه ابن خلكان: كان واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون ومن كبار أصحاب الحديث^٢.

ومن أبرز العلماء الذين سمع منهم أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي وأبو طاهر الزيادي وأبو عبد الله الحاكم وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو بكر بن فورك وأبو علي الروذباري وأبو زكريا المزكي وهلال الحفار وأبو الحسين بن بشران وغيرهم، وروى عنه جماعة كثيرة من المحدثين، منهم ولده إسماعيل وحفيده أبو الحسن عبيد الله بن محمد ابن أبي بكر وأبو عبد الله محمد الفراوي وزاهر بن طاهر الشحامي وعبد المنعم القشيري وعبد الجبار بن محمد الخواري وآخرون^٣.

ومن مصنفاته السنن الكبير، والسنن الصغير، ودلائل النبوة، وشعب الإيمان، ومناقب الشافعي المطلبي، ومناقب أحمد بن حنبل، ومعرفة السنن والآثار، وكتاب أحكام القرآن، وكتاب الدعوات الكبير، وكتاب الدعوات الصغير، وكتاب البعث والنشور، وكتاب الزهد الكبير، وكتاب الاعتقاد، وكتاب الآداب، وكتاب

الأسرى، وكتاب الأربعين، وكتاب فضائل الأوقات، وهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي في عشر مجلدات^٤.

المبحث الأول: موقف البيهقي من القضاء والقدر:

أولاً: موقف البيهقي من تقدير المقادير وتدوينها في الذكر:

ذهب البيهقي الى أن الله عز وجل كتب المقادير كلها في الذكر، ومعنى ذلك أنه سبحانه قدرها على ما لم يزل به عالماً، ويستدل على ذلك بآيات عديدة من الذكر الحكيم، منها قوله تعالى ((وكل شيء أحصيناه في إمام مبين))^٥،

وروى السيوطي عن قتادة في بيان معنى هذه الآية بأن الله سبحانه أحصى على عباده كل شيء عمله، بل حتى آثارهم ودبيبهم على الأرض، ولم يغفل شيئاً من أعمالهم أو آثارهم البتة سواء ما كان في طاعته أو كان في معصيته، يقول: (لو كان سبحانه مغفلاً شيئاً من أثر ابن آدم لأغفل الأثر الذي تعفه الرياح، لكنه أحصى على بني آدم آثارهم وأعمالهم كلها حتى أحصى هذا الأثر فيما هو في طاعة الله أو معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله فليفعل)^٦، إذ ذهب ابن كثير الى أن قوله (كل شيء) أراد به جميع مخلوقات الله قد أحصاها رب العزة في كتاب سطره في اللوح المحفوظ، كما يروي عن مجاهد وقتادة بأن الإمام في الآية هو أم الكتاب، يقول: أراد جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هو أم الكتاب^٧، وذهب الرازي الى أن الله أحصى على عباده ما تقدم وما تأخر من أعمالهم وآثارهم، وقد جرى بذلك القلم وجف فلا يغير ولا يبدل، وقد جاء ذلك تأكيداً لقوله (ونكتب ما قدموا وآثارهم)، يقول: المعنى أن يكون ذلك بياناً لكون ما قدموا وآثارهم أمراً مكتوباً عليهم لا يبدل ولا يغير، فإن القلم جف بما هو كائن، وهو مؤكد لمعنى قوله "ونكتب" أي نكتب ونحفظ ذلك في إمام مبين^٨.

كما يستد البيهقي بحديث للنبي (ص) يرويه عن أبي الحسين محمد بن الحسين القطان عن آخرين عن عمران بن حصين عن النبي قوله: (كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره، وعرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض)^٩.

ولا شك أن حقيقة إيمان العبد بربه منوطة بالتوكل عليه وإن أصل التوكل وحقيقته التسليم بقضاء الله وقدره بأن يعلم أن ما وقع عليه وما لم يقع قد جرى به القلم وهو محفوظ عند ذي العرش بكتاب لا يضل ربي ولا ينسى (وإذا تحقق العبد بذلك سكن منه الاضطراب، وسقط عنه السكون إلى الأبواب، ومن صح توكله لم يلتفت إلى فوات حظه، ولا إلى إصابته، فيستوي فيه الأمران جميعاً؛ فأما من توكل لتحرز من فوت ما عنده أو نيل ما ليس عنده فليس بمتوكل على الحقيقة)^{١٠}، وهو قول النبي (ص): (إنَّ لكلِّ شيء حقيقةً، وما بلغ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتى يعلمَ أنَّ ما أصابه لم يكنْ ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكنْ ليصيبه)^{١١}، نعم لا يجد العبد طعم الإيمان ولا تسكن نفسه إلى الاطمئنان حتى يقر بذلك ويسلم ولا يرتاب لأمر علم سره أو لم يعلم، فليس من شك في أن الإيمان بالله تعالى منوط بالإيمان بقضائه وقدره وكمال ذلك التسليم بأن ما وقع على الإنسان وما لم يقع بعلم الله وإرادته وهو مكتوب في كتاب ومحفوظ في اللوح المحفوظ وأنه ما من عبد يشك في ذلك إلا وخرج عن ربة الإيمان، وبذلك تصح عقيدة الإنسان وتسكن نفسه وينقى قلبه ويسلم أمره إلى الله فلا يلتفت إلى فوات أو نيل ويسقط عنه السكون إلى الأبواب أو الأسباب، وهو قول النبي " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً" أي لو كنتم غير ملتفتين إلى الأسباب ولا متعلقين بها، ولا مضطرين فيما تكفل لكم من أرزاقكم لأدركنم ما قسم لكم من غير حرث، ولا زرع، ولا تكلف^{١٢}.

ويروي ابن حجر عن عبادة بن الصامت قوله (إنك لن تطعم طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره وهو أن تعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك)^{١٣}.

ويذكر صاحب التمهيد عن أبي عمر في بيان معنى النهي عن الترقى أنه ما توكل حق التوكل من استرقى أو اكتوى لأن من ترك ذلك توكلًا على الله وعلمًا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن أيام الصحة لا سقم فيها وأن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده كان أفضل منزلة وأعلى درجة وأكمل يقين وتوكل^{١٤}.

ثانياً: موقفه من المسح على ظهر آدم وخروج الذرية:

يروى البيهقي حديث رسول الله حول المسح على ظهر آدم وخلق ذريته عن أبي نصر محمد بن أحمد الطابراني عن آخرين عن عمر بن الخطاب، وهو قوله (خلق الله عز وجل آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره واستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون)^{١٥}، ويعلق عليه بأن تصنيف ذرية آدم الى فئتين أو طائفتين متقابلتين وقع قبل مرحلة الخلق استناداً الى ما كان في سابق علم الله، يقول: (وهم "الفريق الأول" كل من كان في علم الله تعالى أن يكون من أهل الجنة وأمر القلم فجرى بسعاده وأصابه النور الذي ألقاه عليهم، وهم "الفريق الثاني" كل من كان في علم الله تعالى أنه يكون من أهل النار، وأمر القلم فجرى بشقاوته وأخطأه النور الذي ألقاه عليه)^{١٦}، ويظهر أن قوله (كان في علم الله) يسبق مرحلة الخلق، أي أنه أخذ من بني آدم في عالم الذر قبل أن يخلقهم عهداً وميثاقاً بالعبودية والطاعة، ثم كتب على طائفة منهم الشقاء لسابق علمه بتصلهم عن ذلك العهد والميثاق وكتب على طائفة أخرى السعادة لسابق علمه بوفائهم بعهدهم ثم خلقهم وأجرى عليهم ما كان في سابق علمه. وتتجلى في النص فلسفة ثنائية الخلق من خلال التقابل بين عناصر عديدة، وهي (الجنة/ النار، أهل الجنة/ أهل النار، سعاده/ شقاوته، أصابه/ أخطأه)، وهذا التصنيف يرجع الى العلم الأزلي لله عز وجل، ففي سابق علمه يعمل الفريق الأول عمل أهل الجنة وبسابق علمه يعمل الفريق الثاني عمل أهل النار، فقدر المقادير وأحصاها ثم أنفذها وفقاً لما كان في علمه سبحانه.

ويستدل البيهقي على ما ذهب إليه من خلال المقابلة بين آيتين يتحدثان عن طائفتين من الناس الأولى قدر الله لهما مصيرين مختلفين لسابق علمه بما سيؤول إليه أمرهما من النجاة أو الهلاك وفقاً لما يعتقدانه من اعتقاد صحيح أو فاسد وما يقدمانه من عمل صالح أو سيء، وهما آية السبق بالحسنى وهي قوله تعالى ((إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون))^{١٧}، وآية وقود جهنم أو ذريتها وهي قوله تعالى ((ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس))^{١٨}، فقد ذهب الطبري إلى أن المعنى يتصل بالمشيئة الإلهية فقد قضت مشيئته سبحانه أن يكون كثير من خلقه من الصنفين (الجن والإنس) من أهل النار لما سيقترفونه من أعمال هذه الفئة الضالة، يقول: لقد شاء الله أن يكون هؤلاء من أهل النار، وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار^{١٩}. وذهب الزمخشري إلى أن في النص إخباراً بأن كثيراً من الجن والإنس عاملون بأعمال أهل النار^{٢٠}. وذهب الثعلبي إلى أن النص يتصل بنفاد علم الله فيهم وما يصير إليه أمرهم من الكفر^{٢١}. ويرى محمد الأمين الشنقيطي أن الآية تنصرف إلى تقدير الله في خلقه من قبل أن يخلقهم وإرادته في عالم التكوين، يقول: في النص إرادة كونية قدرية إذ خلق الله الخلق منقسماً إلى شقي وسعيد وأنه كتب ذلك وقدره قبل أن يخلقهم^{٢٢}.

يريد أنه قد سبق الكتاب بما عمل من خير أو شر كما قد سبق الكتاب بما يصير إليه من الجنة أو النار كما يستدل بحديث آخر للنبي يرويه عن محمد بن موسى بن الفضل عن آخرين عن أنس بن مالك، وهو قوله (إن الله عز وجل قبض قبضة فقال: للجنة برحمتي، وقبض قبضة فقال: للنار ولا أبالي)^{٢٣}. ثالثاً: موقفه من تقدير أفعال العباد:

يبدأ البيهقي بالاستدلال بآيات من القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى ((وكل شيء أحصيناه في إمام مبين))^{٢٤}، قال الرازي: إن ذلك بيان لكون ما عملوه من عمل وما تركوه من أثر مكتوباً عليهم لا يبدل أي لقد كتب الله على العباد أنهم سيفعلون كذا وكذا ثم إذا فعلوه كتب عليهم أنهم فعلوه^{٢٥}. وقوله تعالى ((كان ذلك في الكتاب مسطوراً))^{٢٦}، ذكر ابن كثير أن هذا النص فيه إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتبه

عنده في اللوح المحفوظ بإهلاك الناس بسبب ذنوبهم وخطاياهم^{٢٧}. وقال أبو حيان: إن كل شيء ما وقع وما لم يقع بعد مكتوباً أسطراً في سابق القضاء أو في اللوح المحفوظ^{٢٨}. ثم يستدل بأحاديث عن النبي محمد (ص) ويرويها من طرق متعددة، بأن الله أحصى مقادير كل شيء من أول الخلق حتى تقوم الساعة وحفظها عنده في كتاب ومن ينكر هذا فليس من الإسلام في شيء على حد قول النبي (ص): "من مات على غير هذا فليس مني"^{٢٩}، ومن ذلك رواية أبي الحسين محمد بن الفضل القطان عن عبد الله بن جعفر بن درستويه عن يعقوب بن سفيان عن عمر بن حفص عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين عن النبي أنه قال "كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره، وعرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض"^{٣٠}. كما رواه من طريق آخر برواية أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي علي الحافظ عن أحمد بن علي بن المثنى عن أحمد بن جميل المروزي عن عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن عمر بن حبيب المكي عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي الأكرم قوله "إن أول ما خلق الله القلم، وأمره أن يكتب كل شيء يكون"^{٣١}. وعن ابن عباس من طريق آخر قوله (أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب قال: اكتب القدر فجرى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ثم ارتفع بخار الماء، ففتقت منه السماوات، قال: ثم خلق النون ثم بسط الأرض على ظهره فاضطرب ... فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر عليها)^{٣٢}. ومن طريق آخر عن أبي علي الروذباري عن محمد بن بكر بن عبد الرزاق عن أبي داود السجستاني عن جعفر بن مسافر الهذلي عن يحيى بن حسان عن الوليد بن رباح عن إبراهيم بن أبي علبة عن أبي حفصة عن عبادة بن الصامت عن النبي قوله "إن أول ما خلق الله جل ثناؤه القلم فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"^{٣٣}. ثم يعزز ذلك بما يرويه عن الصحابة والتابعين والمحدثين، إذ يروي عن أبي حازم قوله (إن الله عز وجل علم قبل أن يكتب، وكتب قبل أن يخلق، فمضى الخلق على علمه وكتابه)^{٣٤}. وعن ابن عباس قوله في بيان معنى قوله تعالى ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا

في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها))^{٣٥} أن الله تعالى لم يترك شيئاً من أمر الدين والدنيا إلا أثبته في كتاب من قبل حدوثه وما أصاب أحداً أو قوماً أو أمة من مصيبة فهي في ذلك الكتاب من قبل أن يخلقها^{٣٦}.

رابعاً: موقفه من الإيمان بمشيئة الله:

ذهب البيهقي إلى أن علم الله ومشيئته وإرادته كل واحد لا يمكن الفصل بينهم ولا تتعلق المشيئة بالقول والفعل فحسب بل تشمل النية أيضاً، فما من عمل ولا قول ولا حتى نية حادث من عبد من عباده إلا وهو خاضع للمشيئة الإلهية، وإن من يهديه الله إلى الخير والرشاد قد سبق في علمه هدايته ومن يضلّه عن ذلك الطريق قد سبق في علمه شقاوته وضلاله، فلا إرادة خلاف علمه سبحانه ولا وجود خلاف إرادته، وهو قوله (لا يقع لبشر قول، ولا عمل، ولا نية إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته، وأنه يريد هدى من سبق في علمه سعادته ، وإضلال من سبق في علمه شقاوته، فلا يريد خلاف ما علم، ولا يكون خلاف ما يريد)^{٣٧}.

ويستدل البيهقي على ما ذهب إليه بآيات المشيئة الإلهية، كقوله تعالى ((ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)) وقوله ((من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)) وغيرها^{٣٨}. ثم يروي بعضاً مما ورد في الأحاديث والأخبار في بيان المشيئة الإلهية، ومن ذلك ما يرويه عن أبي حازم عمر بن أحمد العبدي الحافظ عن آخرين أنه لما نزل قوله تعالى ((لمن شاء منكم أن يستقيم)) سخر نفر من الكفار وقالوا (الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم) فنزل عليه جبريل (ع) بتكذيبهم وإبطال زعمهم وإنكار دعوتهم بقوله عن رب العزة مفرجاً عن كرب رسول الله ناشراً للفرحة في قلبه: (كذبوا يا محمد وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)^{٣٩}. وما رواه أبو الحسن بن عبدان عن آخرين أن النبي أقبل ذات يوم فسمع الناس يحاور بعضهم بعضاً ويرد بعضهم على بعض فسأل عن ذلك فأخبروه أن أبا بكر وعمر اختلفا في أصل الحسنات والسيئات وأدلى كل بدلوه فزعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد، وزعم عمر أن الحسنات والسيئات كليهما من الله، فبايع هذا قوم وبايع هذا قوم، فأقسم النبي ليقضين بينهما بقضاء جبريل

وإسرافيل وميكائيل، فتعاطم ذلك في أنفس الناس فقالوا: وهل تكلم بهذا جبريل وميكائيل؟ فأجابهم إي والذي نفسي بيده لهما أول خلق الله تكلم فيه، فقال ميكائيل بقول أبي بكر، وقال جبريل بقول عمر فتبانيا أن يتحاكما الى إسرافيل ففضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره، حلوه ومره، كله من الله، وإنني قاض بينكما^{٤٠}. خامسا: موقفه من دخول الناس الجنة:

يحدد البيهقي ثلاث عناصر ينبغي توفرها لدخول الجنة فضلا عما يقدمه العبد من عمل صالح يجزى عليه جنات تجري من تحتها الأنهار كما وعد الله سبحانه عباده المؤمنين في آيات كثيرة في القرآن الكريم، والعناصر الثلاثة هي فضل الله ورحمته وتوفيقه في قبال ثلاثة أشياء ذكرها، وهي الخلق وتحديد الطريق المؤدي الى دخول الجنة والتجاوز عن التقصير أو ما يسمى بـ،،معطيات دخول الجنة،،، فالفضل يقابله الخلق أي تفضل الله على العبد بأن خلقه من العدم ورسم له الطريق الذي إن سلكه أصاب الغرض المقصود وحقق ما يتمناه ويصبو إليه، والتوفيق بأن تلطف عليه فحبب الى نفسه الإحسان والعمل الصالح الذي يستحق به هذه المنزلة العظيمة وهي أن يكون في عداد أهل الجنة، والرحمة بأن أسقط عنه اللوم من الموبقات وتجاوز عن هفواته ولم يؤاخذ بما بدر منه تقصير أو غفلة لا ينبغي أن يقع فيها من هم في عداد أهل الجنة أو الزهد في عمل من أعمال أهلها. قال البيهقي: إن من يدخل الجنة من المؤمنين إنما يدخلها بفضل الله عز وجل ورحمته لأنه خلقه لها ووفقه لأعمال أهلها وغفر له ما قصر فيه منها^{٤١}.

ولتأكيد ما ذهب إليه يستدل بنصوص من القرآن الكريم منها قوله تعالى ((إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون))^{٤٢}، فهذه الآية تشير الى التوفيق أو اللطف الإلهي للقيام بالأعمال الصالحة والفوز بالجنة والرضوان، والذي يلعب دورا كبيرا في تحديد المسار للإنسان في هذه الدنيا الذي ينبغي أن يسلكه للنجاة من عذاب الله والظفر بنعيمه الأبدي، فقد ذهب بعض المفسرين الى أن المقصود بالحسنى هنا هو السعادة وهي عامة في كل من سبقت له من الله السعادة^{٤٣}، وليس من شك في أن عماد السعادة سلامة القلب، وهذه كما لا يخفى من مقدمات الاهتداء الى الإيمان والرشاد الى البر والتقوى، وكلاهما أي السعادة

أو سلامة القلب لا يتأتى للعبد إلا بفضل من الله ولطفه وسابق منه عليه. وذهب أبو الحسن الماوردي في (النكت والعيون) إلى أن الحسنى التي سبقت من الله هي التوبة^{٤٤} أي من تاب الله عليه وتجاوز عما صدر منه من الموبقات والذنوب وربما الوقوع في حبال الشيطان ومصائده فقد عادت له التوبة الطريق إلى تصحيح المسار وبلوغ الهدف الأسمى وهو رضا الله ودخول الجنة.

ومن ثم يستدل بحديث للنبي يرويه عن أبي حازم عمر بن أحمد العبدوي الحافظ عن آخرين عن أبي هريرة، وهو قول النبي (لن ينجي أحدا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة، ولكن قاربوا وسددوا وأبشروا)^{٤٥}.

المبحث الثاني: استدلالات البيهقي على القضاء والقدر:

أولاً: ما استدلل به الصحابة وأعلام الدين:

يستدل البيهقي على إثبات القدر بما رواه الصحابة والعلماء في هذا الباب، ومنه سؤال أبي بكر للنبي عن عمل العبد فيما إذا كان واقعا كما جرى به القلم أو أنه حادث مستأنف لم يسبق به القضاء والقدر، فأجابه النبي أننا نعمل على أمر قد فرغ، أي أن أعمالنا لا تخالف إرادة الله وتقديره، بل هما متوافقان متطابقان، وأن العبد ميسر له لأداء ما خلق له على سبيل الاختيار لا القهر، وهذه الرواية يرويها البيهقي عن أبي عبد الله الحافظ عن آخرين عن أبي بكر، قوله (قلت: يا رسول الله أنعمل على ما قد فرغ منه أم على أمر مؤتلف؟ فقال: على أمر قد فرغ منه، قلت: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: كل ميسر لما خلق له)^{٤٦}. ويعلق ابن حجر على عبارة (كل ميسر لما خلق له) بأن المقادير تجري كما أراد الله لها ولكن العبد محجوب عنه المال ولم يطلع على ما جرى به القلم لذا يتوجب على عليه القيام بما أمره الله به وترك ما نهاه عنه وأن يجتهد في ذلك ما استطاع فإن عمله يسير به إلى ما يؤول إليه أمره ولا يتكل على القدر فيؤاخذ بترك ما أمر به وقصر فيه، يقول: (في الحديث إشارة إلى أن المال محجوب عن العبد فوجب عليه أن يجتهد في

عَمَلٌ مَا أَمَرَ بِهِ، وَأَنْ يَبْذُلَ جَهْدَهُ وَيُجَاهِدَ نَفْسَهُ فِي عَمَلِ الطَّاعَاتِ لَا يَتْرُكُ وَكُؤُلًا إِلَى مَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ أَمْرَهُ فَيُلَامَ عَلَى تَرْكِ الْمَأْمُورِ وَيَسْتَحِقَّ الْعُقُوبَةَ^{٤٧}.

كما يروي عن محمد بن عبد الله الحافظ عن آخرين عن عمر بن الخطاب، قوله: (ينما رسول الله "ص" يخطب فجاء رجل فقال له: أخبرني ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره وبالبعث بعد الموت)^{٤٨} إذ يستدل البيهقي بهذه الرواية على وجوب الإيمان بالقدر وأنه حلقة من حلقات الإيمان بالله وأنه لا يكتمل إيمان العبد ما لم يؤمن بالقدر والبعث كإيمانه بالملائكة والرسل والكتب السماوية وأن كل شيء يجري في الوجود خيرا كان أم شرا واقع كما قدر له في إشارة الى أن الخير والشر كليهما بيد الله كما هو معلوم من قوله تعالى ((مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ))^{٤٩}، فالخير من لطفه سبحانه والشر مما اكتسبت يد الإنسان ولكن بتقدير الله وحكمه وإرادته، وهو وإن كان كذلك لا يخرج عن اختيار العبد لأنه المسبب لما اقترفت يده، وفي بيان معنى الآية يقول الزمخشري: ما أصابك أيها الإنسان من نعمة وإحسان فَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً وَامْتِنَاناً وَامْتِحَاناً وَمَا أَصَابَكَ مِنْ بَلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ لِأَنَّكَ السَّبَبُ فِيهَا بِمَا اكْتَسَبْتَ يَدَاكَ^{٥٠}، ويروي السيوطي عن ابن جرير ابن عباس قوله: الحسنة والسيئة من عند الله، فأما الحسنة فأنعم الله بها على العبد وأما السيئة فقد ابتلاه بها^{٥١}، وإلى هذا المعنى بشير أبو حيان في بيان معنى قوله تعالى (قل كل من عند الله) بأن كلاً من الحسنة والسيئة إنما هو من عند الله، وهو وحده النافع الضار وعن إرادته تصدر جميع الكائنات^{٥٢}، ويؤكد الرازي هذا المعنى بأن النص فيه تصريح بأن جميع الحسنات والسيئات من عند الله، وبما أن الطاعات والمعاصي داخلتان تحت اسم الحسنة والسيئة كانت الآية دالة على أن جميع الطاعات والمعاصي من عنده تعالى وهو المطلوب^{٥٣}، ويذكر ابن حجر في تعليقه على الرواية بأنه أعاد لفظ الإيمان للعناية والاهتمام بشأنه تفخيماً لأمره وأنه أراد أن الله تعالى عَلِمَ مَقَادِيرَ الْأَشْيَاءِ وَأَرْزَمَانَهَا قَبْلَ إِيجَادِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يُوجَدُ، وَكُلَّ مُحَدَّثٍ إِنَّمَا هُوَ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ سبحانه^{٥٤}.

ثانياً: النفع والضرر كلاهما بيد الله عز وجل:

يذهب البيهقي الى أن النفع والضرر مقدران مكتوبان عند الله جرى بهما القلم وخطا بالصحف، وإن الأمة لو اجتمعت لتتفع أحداً بغير ما كتب له ما قدرت كما أنها لا تقدر أن تضره بما لم يكتب عليه ويقدر، وإنما يعمل الإنسان على التيسير واللفظ.

ويستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى ((قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً))^{٥٥}، فهذه الآية نزلت كما هو معلوم في المتخلفين عن الخروج مع رسول الله للحرب، وذهب الطبري الى أن النبي يرد على المتخلفين عن المسير معه من الأعراب المنافقين بأن تعلمهم بالأموال والأهلين لا وجه له وأن طلبهم الاستغفار لا قيمة له ولا ينفعهم بشيء فالله سبحانه مطلع على سرائرهم وهو يعلم ما يخفونه بقلوبهم، وإنه إن أراد إهلاكهم أو نفعهم فلا يغالبه أحد ولا يقدر على دفع ما أراده الله بهم من خير أو شر، يقول: إن أنا استغفرت لكم ثم أراد الله إهلاككم أو هلاك أموالكم وأهلكم، أو أراد أن ينفعكم بنماء أموالكم وإصلاح أهلكم، فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله بكم أو بأهلكم من خير أو شر، والله لا يعاذه ولا يغالبه أحد^{٥٦}، وذهب الرازي الى أن المعنى أنكم تحترزون عن الضرر وتتركون أمر الله ورسوله وتعدون طلباً للسلامة، ولو أراد بكم الضرر لا ينفعكم قعودكم من الله شيئاً^{٥٧}، وقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإفادة معنى النفي، والى هذا أشار ابن كثير، وإن لم يصرح، في قوله: لا يقدر أحد أن يرد ما أراده الله فيكم وهو أعلم بسرائركم وضمائركم، وإن صانعتُمونا وتابعتُمونا^{٥٨}، ويرى ابن عاشور أن النبي أخبرهم بأنه رد أمرهم الى الله ليعلمهم بأن استغفاره لهم لا يغير إرادة الله فيهم نفعاً أو ضراً، بقول: (رد أمرهم إلى الله ليعلمهم أن استغفاره لهم لا يُكره الله على المغفرة بل الله يفعل ما يشاء إذا أراده فإن كان أراد بهم نفعاً نفعهم وإن كان أراد بهم ضراً ضرهم)^{٥٩}.

كما يستدل بأحاديث عديدة للنبي إذ يروي عن أبي عبد الله الحافظ عن آخرين عن عمران بن الحصين قوله (قيل يا رسول الله: أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال: نعم، قال: فقيم يعمل العاملون؟ قال: اعملوا فكلُّ

ميسر لما خلق له)^{٦٠}، ويذكر ابن حجر في شرحه للحديث أن قصد السائل تجنب النفس المشقة ما دام الأمر منوط بالتقدير وأننا صائرون الى ما قدره الله لنا لا محالة فلم يأت الجواب من النبي بـ (نعم أو لا) وإنما بنفي شبهة السؤال فالعمل ليس فيه مشقة على من أوكّل به بل هو ميسر لمن كتب له ان يعمل، يقول: وحاصل السؤال أنه لم لا نترك مشقة العمل فَإِنَّا سَنَصِيرُ إِلَى مَا قُدِّرَ عَلَيْنَا، وحاصل الجواب بأن لا مشقة لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ^{٦١}، ويذهب ابن بطال الى أن كلا الفريقين أهل السعادة وأهل الشقاء ميسر له ما اختاره لنفسه ومزين بدلالة آيتي الحجرات والنمل، وهذا كله نافذ في سابق علم الله ومكتوب في كتابه قبل أن يخلق الخلق، يقول: إن كل فريق من فريقَي السعادة والشقاوة مسهل له العمل الذي اختاره لنفسه، مزين ذلك له، وهذا يصحح ما قلناه من أن علم الله النافذ في خلقه بما هم به عاملون وكتابه الذي كتبه قبل خلقه إياهم بأعمالهم لم يضطر أحداً منهم إلى عمله ذلك^{٦٢}، ولا يبعد أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي عن هذا المعنى في شرحه للحديث إذ يرى أن سعادة العبد أو شقاؤه قد جرى بها القلم وقدر الله ذلك بحسب أعمال الخلائق التي هي سبب للسعادة أو الشقاء، وقد يسر الله لكل ما خلق لأجله من الأعمال، يقول: إن السعادة والشقاوة قد سبق الكتابُ بهما، وإنَّ ذلك مُقَدَّرٌ بحسب الأعمال، وإنَّ كلاً ميسر لما خُلِقَ له من الأعمال التي هي سببٌ للسعادة أو الشقاوة^{٦٣}، ويميل بدر الدين العيني الى الرأي الذي يمسك الحبل من وسطه لا من طرفيه أو كما يقال إنه منزلة بين المنزلتين، والحاكم في ذلك توفيق الله وتأبيده فمن سدده الله أتى بالعبادة على وجهها ومن خذله حرمه الله منها، يقول: إن الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة واختيار وإنما خلقهم لها خلق تكليف واختبار فمن وفقه الله وسدده أقام العبادة التي خلق لها ومن خذله وطرده حرم العبادة وعمل بما خلق له^{٦٤}.

ويروي عن محمد بن عبد الله الحافظ عن آخرين عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي عن النبي قوله: (خلق الله آدم ثم خلق الخلق من ظهره ثم قال: هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي، فقل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواجهة القدر)^{٦٥}، وفي بيان معنى قوله (هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا

أبالي) ينقل عبد الرؤوف المناوي عن الإمام البيضاوي أن الثواب والعقاب منوط باللطف أو الخذلان الإلهي المقدر للخلق وهم في عالم الذر، وليس عمل العبد موجبا لدخول الجنة أو النار بل هو انعكاس لذلك اللطف أو الخذلان، يقول: إن الثواب والعقاب لا لأجل الأعمال بل الموجب لهما هو اللطف أو الخذلان الرباني المقدر لهم وهم في أصلاب آبائهم بل وهم وآباؤهم وأصول أكوانهم بعد في العدم^{٦٦}.

كما يروي البيهقي عن أبي عبد الله الحافظ عن آخرين عن هشام بن حكيم عن النبي قوله: (إن الله عز وجل أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ييسرون لعمل الجنة وأهل النار ييسرون لعمل النار)^{٦٧}، وهو لا يخرج عما أشرنا إليه من التقدير الإلهي لذرية آدم والعهد أو الميثاق الذي أخذه عليهم قبل أن يخلقهم وإن كلا من الفريقين يعمل لما خلق له وفقا لما جرى به القلم وما وقع لهم أو عليهم من اللطف أو الخذلان.

كما يروي عن عبد الله بن سالم عن آخرين عن هشام بن حكيم قوله (قيل: يا رسول الله علام نعمل؟ فقال: على مواقع القدر)^{٦٨}، ويعلق عادل العلوي على عبارة (مواقع القدر) بأن موافقة أعمالنا لما قدره الله وجرى به القلم لا ينفي الاختيار من قبلنا ولا يسقطه وأنه لم لتقع أعمالنا بخلاف إرادتنا ولا بخلاف ما أَراده الله وقدره بل وقعت على ما وقع عليه القدر، يقول: إن أعمالنا تقع على ما يقع عليه القدر فتتطبق على القدر وينطبق القدر عليها، فإله عز وجل قدر ما قدر من طريق اختيارنا فنعمل نحن باختيارنا ويقع مع ذلك ما قدره الله سبحانه، لا أنه تعالى أبطل بالقدر اختيارنا ونفى تأثير إرادتنا^{٦٩}. كما يروي عن أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان عن آخرين عن ابن عباس عن النبي قوله: (يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمم لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الصحف، ورفعت الأقلام)^{٧٠}.

ثالثا: بلوغ الإيمان باللطف الإلهي لا بمجرد العمل:

يذهب البيهقي الى أن تحبيب الله الإيمان لنفر من عباده متصل بلطفه سبحانه وعنايته بهم وتوفيقه لهم بالهداية، ويذكر محددات للإيمان بالله، هي:

١. الإيمان هبة أو عطية من الله سبحانه لعباده المؤمنين.
٢. وهذه العطية مصدرها اللطف الإلهي الذي عبر عنه بـ (فضل الله).
٣. يتطلب رسوخ الإيمان في قلب العبد تحبيبه إليه وتزيينه في قلبه، وهو ما يعبر عنه بـ، الميل النفسي،،
٤. يرتكز الإيمان على ركيزة مهمة ينبغي توفرها حتى يتمكن العبد من بلوغ درجة الإيمان، وهذه الركيزة هي الهداية إذ يصف الله سبحانه في مناسبات عديدة المؤمنين بأنهم على هدى من ربهم، فلا بد أن يهتدي العبد الى الربوبية الحقة، وهي معرفة الله سبحانه بأن يسلك الطريق الذي حدده الله له، وهذا الذي عبر عنه بـ (الهداية الى الصراط المستقيم).

٥. الثبات على الموقف، وهو ما يتطلب إرادة قوية صلبة جعلها الله في نفر من عباده فهداهم الى صراطه المستقيم ومن عليهم بنعمة الإيمان وثبته في قلوبهم، وهذا الذي أطلق عليه (القول الثابت).

وهو قوله: إن الله عز وجل هو المعطي بمنه وفضله من يشاء من خلقه الإيمان ومحبه إليه ومزيه في قلبه وشارح صدره له وهاديه إلى الصراط المستقيم ومثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^{٧١}.

ويستدل البيهقي بآيات عديدة منها قوله تعالى ((حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم))^{٧٢}، إذ يذهب الزمخشري الى أن تحبيب الله الإيمان لنفر من عباده متصل بلطفه سبحانه وعنايته بهم وتوفيقه لهم بالهداية، وأن الضمير (كم) يشير به الى البعضية، أي بعض عباده خصهم بهذه المنزلة العظيمة، ويستفاد التبعية من التضاد في الصفتين المذكورتين في الآية وهما التحبيب والتبغيض (حبب/كره)، وأن الاستدراك متحصل من جهة المعنى وإن بدا مفقودا من حيث اللفظ، كما أن هذا التحبيب والتزيين لم يأت من فراغ وإنما جاء من بعد امتحان اختر الله من خلاله عباده وجعلهم في ضوء هذا الامتحان ففتين أو صنفين أهل سعادة أو شقاء وفي نعيم أو جحيم، ومادة هذا الامتحان هي الخشية من الله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، يقول:

أراد الى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم، ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق، وهؤلاء النفر هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، ووقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك لأن الذين حبيب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم^{٧٣}، ويتابعه أبو السعود بأن الله سبحانه وجه الخطاب الى فئة من خلال الاستدراك تنزيها لهم عن أوصاف من سبقهم بالوصف ومدحا لأفعالهم، يقول: في النص تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم من طريق الاستدراك بياناً لبراءتهم عن أوصاف الأولين وإحماًداً لأفعالهم^{٧٤}، ويذهب الماوردي الى أن تحبيب الإيمان أتى من طريق ما وصفه لهم من الثواب العظيم عليه وأن التزيين بما استدل به على صحته^{٧٥}.

وقوله ((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة))^{٧٦}، لقد اختلف المفسرون في معنى (القول الثابت) فذهب بعضهم الى أنه الشهادتان^{٧٧}، وذهب آخرون الى أنه العمل الصالح^{٧٨}، وقيل: أراد به القرآن^{٧٩}، وقد استعمل الفعل المضارع (يثبت) لصرف الزمن الى الحال والاستقبال وكأنه يلح بأن الإيمان درجات وكلما زاد إيمان العبد حقق الله إيمانه وثبته وكان له درعا حصينا يقيه من الوقوع في الزلل أو الانزلاق في مزالق الشيطان ووساوسه. وذهب الزمخشري الى أن القول الثابت أراد به الحجج والبراهين التي اعتقد بها واطمأنت لها نفسه حتى إنها تعصمه إذا ما فتن في دينه، وهذا معنى التثبيت في الدنيا وأما في الآخرة فإنه سبحانه يعصمهم عن أهوال الحشر ولم يتلعثوا إذا ما وقفوا بين يدي ربهم للسؤال عن دينهم ومعتقدهم أو الثبات عند سؤالهم عن ذلك في القبر، يقول: القول الثابت معناه الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه، وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا، كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود وغيرهم من المؤمنين، وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند وقوفهم في مواقف عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثوا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر، ويحتمل أنه أراد به الثبات عند سؤال القبر^{٨٠}. وذهب الرازي الى أن القول الثابت هو ما كان يصدر عنهم من قول في حياتهم الدنيا^{٨١}.

كما يستدل بحديث للنبي يرويه عن أبي الحسين بن بشران عن آخرين عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله قوله: ((إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب))^{٨٢}، ويبين الحديث أن الله شمل جميع عباده بنعمه الوفيرة لا فرق بين مؤمن وكافر أو مطيع وعاص، وقد يضيق على المؤمن في الرزق ويوسع على الكافر لحكمة يقتضيها سبحانه للإصلاح أو الاختبار أو الاستدراج، كما قال في كتابه العزيز ((ويمدهم في طغيانهم يعمهون))^{٨٣} وغير ذلك لكنه خص فئة من عباده أحبهم لما علم أنهم أهل لذلك فتلطف عليهم بالإيمان فكانوا جديرين بهذا اللطف والتفضيل. ويذهب ابن بطال في شرحه للحديث إلى أن الأخلاق تعطى ولا تكتسب لأنها هبة من عند الله لفئة من عباده يقسمها بينهم كما قسم أرزاقهم بينهم، ويستدل على ذلك بتفاوت الخلق بها كل بحسبه، يقول: يبين الحديث أن الأخلاق من إعطاء الله عباده، ألا ترى تفاوتهم فيها كتفاوتهم بالجبن والشجاعة والبخل والجود، ولو كان الخلق اكتساباً للعبد لم تتباين أحوال الناس فيه^{٨٤}، ويرى عبد الرؤوف المناوي أن المؤمنين وإن اختلفهم الله وفضلهم على غيرهم فهذا لا يعني أنهم سواء في المنزلة، بل هم يتفاوتون قرباً وبعداً بحسب الاستعداد للعطاء والعمل، وهو ما عبر عنه بـ"ما يليق به"، يقول: لقد قدر الله سبحانه أخلاقاً لخلقه فهم يتخلقون فيها كل على حسب ما قدر له كما قدر الأرزاق فأعطى كلا من عباده ما يليق به في الحكمة^{٨٥}.

ويروي الحديث نفسه برواية مختلفة ومن طريق آخر، عن أبي عبد الله بن الحسن الحافظ عن آخرين عن عبد الله ابن مسعود عن النبي قوله ((إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم معاشكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب الله عبد أعطاه الإيمان، فمن ضن منكم بالمال أن ينفقه، واشتد عليه الليل أن يكابده، أو جبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر))^{٨٦}.

رابعاً: كل إنسان يبعث على ما مات عليه:

ذهب البيهقي الى أن الله خلق الناس صنفين مؤمنا وكافرا وسوف يعيدهم صنفين كما بدأ خلقهم، وهو بنى هذا الباب على قول ابن عباس (إن الله عز وجل بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا، ثم يعيدهم يوم القيامة مؤمنا وكافرا)^{٨٧} ولم يعلق على هذا الباب شيئا، غير أنه يستدل عليه بقوله تعالى ((كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ* فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ))^{٨٨}، إذ روى السيوطي عن مجاهد أن المقصود إما شقي أو سعيد، وعن الربيع بن أنس أنه أراد التراب خلق الخلق منه واليه يعودون^{٨٩}.

وذهب بعض المفسرين الى المقصود الحياة والموت، فيكون معنى بدأهم منحهم الحياة من العدم ثم الى العدم يعيدهم بالموت ثم يحييهم مرة أخرى للحشر إذا قامت القيامة، فذكر الزمخشري أن معنى الآية ينصرف الى إحياء الموتى للحشر فالخلق الأول من العدم عبر عنه بالابتداء والخلق الثاني من بعد الموت عبر عنه بالإعادة ولما كانت الإعادة أيسر من الابتداء فإنه صح الاستدلال بالنص للإنكار على الكفار تكذيبهم الحياة الثانية، قال: كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج على الكفار إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق^{٩٠}، وقد روى السيوطي عن ابن أبي شيبه عن آخرين عن الحسن البصري قوله (كما بدأكم ولم تكونوا شيئا فأحياكم، كذلك يميئتم ثم يحييكم يوم القيامة)^{٩١}.

وينقل أبو حيان في (البحر المحيط) ما يؤكد هذا المعنى عن الزجاج بأنه لما كانت الإعادة أهون من الابتداء صح الاحتجاج على المنكرين إنكارهم الإحياء بعد الموت، وذلك قوله: كما أحياكم في الدنيا يعيدكم في الآخرة وليس بعثكم بأشد من ابتداء خلقكم وهذا احتجاج على الكفار في إنكارهم البعث^{٩٢}.

وذهب بعضهم الى أن معنى الابتداء والإعادة يتصل بما قدره الله على العبد فإن قدر له النجاة أو السعادة في ابتداء خلقه صار أمره الى ما قدره الله ابتداء، وإن تقدم منه عمل من أعمال أهل الشقاء، كما هو حال السحرة في قصة موسى (ع)، فعلوا ما فعلوا من أعمال أهل الشقاء ثم صار أمرهم الى ما قدر الله لهم في ابتداء خلقهم، ومن قدر له الهلاك أو الشقاء ختم له بذلك، وإن أتى بأعمال أهل السعادة، كما هو حال إبليس عمل بأعمال أهل السعادة والصلاح ثم آل أمره الشقاء والخسران، فقد نقل ابن كثير عن محمد بن

كعب القرظي قوله: من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل السعادة، ومن ابتدئ خلقه على السعادة ختم بما ابتدئ خلقه عليه وإن عمل بأعمال أهل الشقاء^{٩٣}. كما استدل البيهقي بحديث للنبي يرويه عن أبي عبد الله الحافظ عن آخرين عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وهو قوله (ص): (يبعث كل عبد على ما مات عليه)^{٩٤}.

خامساً: الهداية والضلال من عند الله سبحانه:

يذهب البيهقي إلى أن هداية العبد أو ضلاله متصل بمشيئة الله عز وجل وإرادته وحكمه وأنه لا سلطان ولا حول لأحد أن يهدي أحداً ما لم يأذن الله بذلك ويقضي ويقدر، ويستدل بآيات عديدة تتحدث عن الهداية والضلال، ومنها قوله تعالى ((من يضل الله فلا هادي له))^{٩٥}، إذ استدل الرازي بهذا المقطع من الآية على أن الهدى والضلال بيد الله وحده عز وجل^{٩٦}، وذهب أبو حيان إلى أنه استعمل البنية الاسمية التي تدل على الثبوت والاستقرار والتمثلة بـ(لا النافية للجنس) واسمها وخبرها في قوله (لا هادي) ليكون ذلك بمثابة حكم قاطع يبعث على اليأس من إيمان هؤلاء الكفار، وذلك قوله: لقد نفى نفيًا عامًا أن يكون هاد لمن أضله الله فأفاد اليأس من إيمانهم والمقت بهم^{٩٧}، وإلى هذا المعنى أشار الثعالبي في قوله: هذا الشرط وجوابه تضمن اليأس منهم والمقت لهم؛ لأن المعنى أن هذا قد نزل بهم^{٩٨}، وذهب الماوردي إلى أن معنى (يضلل) يحكم بضلالته في الدين^{٩٩}، ويفهم من قوله (يحكم) أي يقدر، وتقديره سبحانه متصل بمشيئته، فإذا شاء قدر الهداية لعبده فهدى وإذا شاء قدر له الضلال فضل به، وذهب أبو السعود إلى أن معناه الطبع على قلب الكافر^{١٠٠}، وتابعه الألوسي في أن هذا المقطع من الآية يفهم منه الطبع على قلوبهم^{١٠١}.

لقد أفاد أسلوب الشرط التقابل والتوازي أو التكافؤ بين الطرفين، فعل الشرط وجملة جواب الشرط، وهذا مبني على التضاد بين الهدى والضلال المتمثلين بالفعل (يضلل) واسم الفاعل (هادي)، وقد عدل عن البنية الطبيعية (المعيارية) لكسر التوقعات وإحداث التأثير المطلوب فأتى -بخلاف المتوقع- بعنصر تحفيز، وهو اسم الفاعل (هادي) بدلا من الإتيان بعنصر تثبيط، وهو النمط المعياري، لكون النص مبنيًا على السلبية

لكونه يتحدث عن ضلال الكافر واليأس من هدايته، لكنه أتى بحرف النفي فأحدث خلافاً في البنية وعاد بها إلى نقطة الانطلاق بتحويل الإيجابية غير المتوقعة (هادي) إلى سلبية (لا هادي) تكافئ السلبية التي استهل بها النص المتمثلة بالفعل (يضل).

يضل يهلك (متوقع)

يضل يزداد ضلالاً (متوقع)

يضل فلا هادي له!! (غير متوقع)

وقوله ((من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً))^{١٠٢}، فالولي هو القادر الذي يتولى أمره ويدير شؤونه، وأراد الولاية الكونية والقدرة المطلقة، وهما بيد الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يدعي غير ذلك وبالتالي ليس لأحد أن يهدي أو يضل لأنه لا يقدر على ذلك سوى من يملك الولاية وهي محصورة بالله وحده، ومن هنا يعجز غيره أن يقوم بالهداية والضلال.

ويذهب الزمخشري إلى أن تحقيق النجاح والظفر بالسعادة يتطلب ثلاثة عناصر هي اللطف الإلهي والهداية والرشاد وسلوك طريق الصالحين، ومن قدر الله له الخذلان وأعرض عنه ولم يحطه بعنايته ويتولاه بعطفه فلن يجد أحداً يتولى أمره ويرشده إلى طريق السعادة والفلاح وإنه ضال عن طريق الهدى وهالك لا محالة، وإن هذا المقطع من الآية وإن كان خصّ بالنزول جماعة من الناس، وهو أصحاب الكهف لكنها تضمنت حكماً عاماً وسنة كونية مفادها أن "التوفيق والخذلان بيد الله وحده لا أحد سواه"، ولما كان النزول متصلاً بهم خصّهم بالثناء لأمرين يحبهما الله في العبد، وهما التسليم له في كل الأمور والجهاد في سبيله، يقول: لقد أثنى عليهم لكونهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بهذه العظيمة، وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فقد أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة، ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يهديه ويرشده بعد خذلان الله^{١٠٣}، وإلى هذا المعنى يذهب ابن كثير، وغيره من المفسرين^{١٠٤} بأن الآية تنصرف إلى بيان حقيقة أن الهدى والضلال من الله سبحانه

ومن يضلّه الله لن يقدر على هدايته ونجاته أحد، وهو الذي قد أرشد أصحاب الكهف الى طريق الحق ومعرفة التوحيد والإيمان بالله وقد اختارهم وخصهم من بين جميع قومهم، يقول: أراد أنه هو الذي أرشد هؤلاء المؤمنين إلى الهداية من بين قومهم، وإن من هداه الله اهتدى ومن أضله فلا هادي له^{١٠٥}، ويشير أبو حيان الى أن النص فيه عموم يدخل فيه فتية أهل الكهف في شطر الهداية والإيمان كما يدخل فيه قومهم الكفار وملكهم في شطر الضلال والخذلان، يقول: هذا لفظ عام يدخل فيه أهل الكهف وقومهم أيضاً مثل دقيانوس الكافر وأصحابه^{١٠٦}، ويذهب الآلوسي الى أن الهدى والضلال منوطان باستعداد العبد وإرادته ليختار طريق الحق والهدى ويسير فيه ليحظى بالنعيم الأبدي، فإذا امتلك الاستعداد لذلك شمله الله بلفظه وخصه بالهداية والرشاد، ومن لم تكن له إرادة صلبة واستعداد كاف ضل عن طريق الهدى وصار مصيره الى الخذلان لأن الله سبحانه لا يخذل عبده إلا لسوء استعداده ومتى فقد الاستعداد تعذر الإرشاد^{١٠٧}، ويشير محمد الأمين الشنقيطي في تعليقه على هذا المقطع من الآية الى أن الله أناط بنبيه وظيفه هداية الناس في آية ونفاها عنه في آية أخرى، وبيان ذلك أن الهدى قسمان، عام وخاص، فالعام هو الذي أثبتته للنبي وهو بمعنى البيان والإرشاد، والخاص هو ما نفاه عن النبي وهو بمعنى الطف والتوفيق وهذا قد تفرد به وحده سبحانه، يقول: إن الهدى المثبت للنبي هو الهدى العام الذي هو البيان والدلالة والإرشاد، والهدى المنفي عنه هو الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق، لأن ذلك بيد الله وحده، وليس بيد غيره^{١٠٨}.

كما يستدل بحديث للنبي يرويه من طرق مختلفة بعبارات فيها اختلاف، ولعله صدر من النبي في أكثر من مناسبة وبحسب هذه المناسبة أو تلك قد يضيف أو يسقط كلمة أو عبارة أو يغير لفظاً أو يقدم أو يؤخر، فالرواية الأولى عن أبي زكريا يحيى بن إبراهيم عن آخرين عن ابن عباس عن النبي قوله: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله)^{١٠٩}، والرواية الثانية عن أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان عن آخرين عن ابن عباس^{١١٠}، والرواية الثالثة عن أبي عبد الله الحافظ عن آخرين عن جابر بن عبد الله^{١١١}.

الخاتمة:

توصل البحث الى جملة من النتائج، نوجزها بما يأتي:

- ١- قسم البيهقي كتابه الى ثلاثين بابا، ويتلخص منهجه في الكتاب بالاستشهاد أولا بالنصوص القرآنية ثم أحاديث النبي وأقوال الصحابة والتابعين والرواة والمحدثين والإخباريين.
- ٢- يذهب البيهقي الى أن النفع والضرر مقداران مكتوبان عند الله جرى بهما القلم وخطا بالصحف، وإنما يعمل الإنسان على التيسير واللطف.
- ٣- يذكر محددات خمس للإيمان بالله، وهي أن يهبه الله لعبده معرفة الله والثبات على الموقف واللطف الإلهي الذي عبر عنه بـ (فضل الله) والميل النفسي وهو ما عبر عنه بـ (تزيينه في قلبه).
- ٤- يرى البيهقي أن تصنيف ذرية آدم الى فئتين أو طائفتين متقابلتين وقع قبل مرحلة الخلق استنادا الى ما كان في سابق علم الله، فالفئة الأولى هم كل من كان في علم الله تعالى أن يكون من أهل الجنة، والفئة الثانية هم كل من كان في علم الله تعالى أنه يكون من أهل النار.
- ٥- يذهب البيهقي الى أن علم الله ومشيتته وإرادته كل واحد لا يمكن الفصل بينهم ولا تتعلق المشيئة بالقول والفعل فحسب بل تشمل النية أيضا، فما من عمل ولا قول ولا حتى نية حادث من عبد من عباده إلا وهو خاضع للمشيئة الإلهية.
- ٦- يحدد البيهقي ثلاث عناصر ينبغي توفرها لدخول الجنة فضلا عما يقدمه العبد من عمل صالح، وهي فضل الله ورحمته وتوفيقه في قبال ثلاثة أشياء ذكرها، هي الخلق وتحديد الطريق المؤدي الى دخول الجنة والتجاوز عن التقصير أو ما يسمى بـ «معطيات دخول الجنة».

الهوامش:

- ١ ظ: طبقات الشافعية الكبرى: ٢/٤
- ٢ ظ: وفيات الأعيان: ٧٥/١
- ٣ ظ: طبقات الشافعية الكبرى: ٢/٤
- ٤ ظ: وفيات الأعيان: ٧٦/١ والوافي بالوفيات: ٣٤٠/٢
- ٥ سورة يس/ ١٢
- ٦ ظ: الدر المنثور: ٢٩٣/ ٨
- ٧ ظ: تفسير القرآن العظيم: ٥٦٨/ ٦
- ٨ ظ: مفاتيح الغيب: ١١/ ١٣
- ٩ القضاء والقدر: ٨/ ١. هذا الحديث رواه ابن حجر في (فتح الباري: ٩/ ٤٧٣) وسقط منه عبارة (كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره) وعلق عليها بأنها زيادة وقعت في بعض الكتب وهي زيادة لَيْسَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ، كما رواه بدر الدين العيني الحنفي في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٢/ ٤١٢) عن عمر بن حفص بن غياث عن آخرين عن عمران بن حصين بالرواية التي أثبتناها في المتن، كما رواه الطحاوي في (بيان مشكل الآثار: ١٤/ ١٣٩) عن المسعودي عن آخرين عن ابن حصيب، وسقطت من الرواية عبارة (وخلق السماوات والأرض).
- ١٠ بحر الفوائد: ١/ ١٦٥
- ١١ جامع العلوم والحكم: ٢١/ ٢٩
- ١٢ ظ: بحر الفوائد: ١/ ١٦٥
- ١٣ فتح الباري: ١١/ ٤٩٠
- ١٤ ظ: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢٤/ ٦٦
- ١٥ القضاء والقدر: ٥٨/ ١. ويروي هذا الحديث أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري في (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢/ ٦) وفي (الاستذكار: ٨/ ٢٦٠) والطحاوي في (بيان مشكل الآثار: ٩/ ١٧٠)
- ١٦ نفسه: ٥١/ ١
- ١٧ سورة الأنبياء/ ١٠١

١٨ سورة الأعراف/ ١٧٩

١٩ ظ: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٧٧/٢٠ ويستدل الفخر الرازي بهذه الآية على صحة مذهبه في مسألة خلق الأفعال ويستدل بوجوه عديدة ثم يذكر مخافة المعتزلة لهذا الرأي زما استدلوها به على صحة مذهبهم من عدم جواز حمل النص على ظاهره ثم يرد عليهم بما ينتصر به لمذهبه. ظ: مفاتيح الغيب: ٣٠٥-٣١٨.

٢٠ ظ: الكشف: ٣١٦/٢

٢١ ظ: الكشف والبيان: ٤٨٣/٥. وهذا الرأي نقيه الطبري عن أبي جعفر بأن الله خلقهم لجهنم لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم. ظ: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٧٨/١٣.

٢٢ ظ: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ١٨/٨

٢٣ القضاء والقدر: ٥٣/١، وهذا الحديث يرويه أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي في (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١١٦/٨) ويرى أنه يرجع الى حكم الله وقضائه في عباده وإن ما جرى به القلم يمضي ولا محيص عنه، يقول: (لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لَأَمْرِهِ وَقَضَائِهِ)، كما يرويه الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي في (التيسير بشرح الجامع الصغير: ٧٣٨/١) ويعلق عليه بأنه يعود الى سابق قضاء الله الي لا يبدل، يقول: (فالعبرة بسابق القضاء الذي لا يقبل تغييراً ولا تبديلاً).

٢٤ سورة يس/ ١٢

٢٥ ظ: مفاتيح الغيب: ١١/١٣

٢٦ سورة الاسراء/ ٥٨

٢٧ ظ: تفسير ابن كثير: ٨٩/٥

٢٨ ظ: البحر المحيط: ٣٦٤/٧

٢٩ القضاء والقدر: ١١/١

٣٠ نفسه: ٨/١

٣١ نفسه: ١٠/١

٣٢ نفسه: ٩/١

٣٣ نفسه: ١١/١

- ٣٤ نفسه: ١٣/١
- ٣٥ سورة الحديد/ ٢٢
- ٣٦ ظ: القضاء والقدر: ١٤/١
- ٣٧ نفسه: ١٣٠/١
- ٣٨ نفسه: ١٣٠/١
- ٣٩ ظ: نفسه: ١٣١/١
- ٤٠ ظ: نفسه: ١٤٢/١
- ٤١ ظ: نفسه: ٣٦٣/١.
- ٤٢ سورة الأنبياء/ ١٠١
- ٤٣ ظ: الدر المنثور: ١٠٧/ ٧ والكشف والبيان: ١٧٠/٩
- ٤٤ ظ: النكت والعيون: ٩٨/ ٣
- ٤٥ القضاء والقدر: ٣٦٤/١. ويرويه من طريق آخر عن أبي الحسين بن بشران العدل عن آخرين عن أبي هريرة، ومن طريق ثالث عن أبي عبد الله الحافظ عن آخرين عن عائشة، ومن طريق رابع عن محمد بن عبد الله الحافظ عن آخرين عن جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ٤٦ نفسه: ١/ ٤١٤. يروي هذه الرواية الكلاباذي في (بحر الفوائد: ١/ ١١١) عن عمر بن الخطاب وليس عن أبي بكر برواية فيها اختلاف، وهي قول عمر للنبي: (أرأيت ما نعمل فيه، أنعمل على أمر مؤتلف، أو أمر قد فرغ منه؟ فقال على أمر قد فرغ منه).
- ٤٧ ظ: فتح الباري: ١٨/ ٤٤٠
- ٤٨ القضاء والقدر: ١/ ٤١٦. يروي هذا الحديث ابن حجر في (فتح الباري: ١/ ٨٠).
- ٤٩ سورة النساء/ ٧٩
- ٥٠ ظ: الكشاف: ١/ ٤٣٥
- ٥١ ظ: الدر المنثور: ٣/ ١٧٠
- ٥٢ ظ: البحر المحيط: ٤/ ٢٠١ وزاد المسير: ٢/ ٦٧

- ٥٣ ظ: مفاتيح الغيب: ٢٩١ / ٥
- ٥٤ ظ: فتح الباري: ٨٠ / ١
- ٥٥ سورة الفتح/ ١١
- ٥٦ ظ: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٢ / ٢١١
- ٥٧ ظ: مفاتيح الغيب: ١٤ / ١٣٧
- ٥٨ ظ: تفسير القرآن العظيم: ٧ / ٣٣٧
- ٥٩ التحرير والتنوير: ١٣ / ٤٦١
- ٦٠ القضاء والقدر: ٢٣٩/١. روى هذا الحديث ابن حجر في (فتح الباري) برواية مختلفة عن سُفْيَانَ وَشُعْبَةَ (جَاءَ سُرَاقَةُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْعَمَلُ الْيَوْمَ فِيمَا جَعَلْتَ بِهِ الْأَقْلَامَ وَجَرَّتْ بِهَ الْمَقَادِيرُ فَيَمِمْ الْعَمَلُ؟ قَالَ: إِعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ). فتح الباري: ١٨ / ٤٤٩. وللحديث روايات أخرى. ظ: شرح النووي على مسلم: ٩ / ١٧ وشرح ابن بطلال لصحيح البخاري: ٥ / ٤٨٨ والاستذكار لابن عبد البر: ٨ / ٢٦١ وغيرها.
- ٦١ ظ: فتح الباري: ١٨ / ٤٤٩.
- ٦٢ ظ: شرح البخاري لابن بطلال: ١٩ / ٤٠٢. والآيتان هما قوله تعالى ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِيْمَانٌ وَرَيْئَةٌ فِي قُلُوبِكُمْ)) الحجرات/٧ وقوله ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ)) النمل/٤.
- ٦٣ ظ: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ٦ / ٢٥.
- ٦٤ ظ: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٨ / ٢٨٢. يذهب الإمامية الى إنكار مبدأ الجبر والتفويض والقول بأن الأمر منزلة بين المنزلتين، إذ يروي العلامة المجلسي عن الإمام الصادق (ع) قوله: (لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين) كما يروي عنه قوله (الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله عز وجل أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله). بحار الأنوار: ٥ / ٧٠.
- ٦٥ القضاء والقدر: ١ / ٢٤٠. يروي هذا الحديث الملا على القاري في (مراقبة المفاتيح) برواية مقتضبة سقطت منها عبارة (على مراقبة القدر). ظ: مراقبة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١٥ / ١٠٨.
- ٦٦ ظ: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢ / ٢٣٥

٦٧ القضاء والقدر: ٢٤١/١. هذا الحديث يرويه البيهقي نفسه في كتابه (الأسماء والصفات: ٢/٢٥٧)، ويرويه محمد بن الحسن الشيباني في الجامع الصغير (ظ: ترتيب أحاديث الجامع الصغير على الأبواب الفقهية: ١/٢٤)، كما يرويه الطبري عن أحمد بن الفرج الحمصي عن آخرين عن هشام بن حكيم (ظ: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٣/٢٤٤)، ويرويه السيوطي عن ابن جرير عن آخرين عن هشام بن حكيم (ظ: الدر المنثور: ٤/٣٦٥)، ويرويه ابن بطة عن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز عن آخرين عن هشام بن حكيم (ظ: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: ١/٣٠٥)، وغيرهم.

٦٨ نفسه: ٢٤٣/١. روى هذا الحديث السيوطي في (الدر المنثور: ٤/٣٦٧) وفي (جامع الأحاديث: ٨/٢٩) وفي (الجامع الكبير: ١/٨٤٧٢) بروايته الكاملة عن ابن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي عن النبي قوله (إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي. فقال رجل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر)، ورواه ابن حبان في صحيحه عن علي بن الحسين بن سليمان عن آخرين عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي (ظ: صحيح ابن حبان: ٢/١٦٧)، كما رواه السيد أبو المعاطي النوري في مسنده عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن عبيد الرحمن بن قتادة السلمي (ظ: المسند الجامع: ١٢/١٢٦).

٦٩ ظ: علي المرتضى نقطة باء البسمة: ٩/٤

٧٠ القضاء والقدر: ٢٤٥/١. هذا الحديث يرويه أحمد ابن حنبل في مسنده عن يونس عن آخرين عن ابن عباس (ظ: مسند أحمد: ٦/٦٩) وينقله السيوطي عن مسند أحمد وعن البيهقي في (شعب الإيمان) وفي (الأسماء والصفات) عن ابن عباس برواية فيها زيادة (ظ: الدر المنثور: ١/١٠٦) كما يرويه الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي بالرواية التي اثبتناها عن ابن عباس من دون سند (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ٢١/١)، كما يرويه ابن شرف النووي عن ابن عباس من دون سند أيضاً (ظ: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية: ١/١٩).

٧١ ظ: نفسه: ١/٣٣١

٧٢ سورة الحجرات/ ٧

٧٣ ظ: الكشف: ٦/٣٧١

٧٤ ظ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٦/ ١٨٤

٧٥ ظ: النكت والعيون: ٤/ ١٥١

٧٦ سورة إبراهيم/٢٧

٧٧ ظ: التسهيل لعلوم التنزيل: ٥٣/٢ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٩٤/١

٧٨ ظ: النكت والعيون: ٣٣١/٢

٦٠ ظ: التحرير والتنوير: ٤٣١/٧

٨٠ ظ: الكشف/٣/ ٢٨٣

٨١ ظ: مفاتيح الغيب: ٩/ ٢٤٦

٨٢ القضاء والقدر: ١/ ٣٣٣. هذا الحديث يرويه أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري في (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٤٣٧/٢٤) عن عبد الرحمن السامي عن آخرين عن عبد الله بن مسعود، وفي روايته أثبت كلمة (الدين) بدلا من كلمة (الإيمان) وزيادة عبارة (فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن جار حتى يأمن جاره بوائقه)، كما يرويه بهذه الرواية الثانية بدر الدين العيني الحنفي في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٣/ ٢٦٦)، كما يرويه ابن بطلال في (شرح صحيح البخاري: ١٧/ ٢٨٤) برواية مقتضبة وه قوله (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم)، كما يرويه عبد الرؤوف المناوي في (فيض القدير شرح الجامع الصغير: ١/ ٤٨٧) برواية مختلفة فيها حذف وزيادة وهي قوله (إن الله قسم بينكم أخلاقكم قبل أن يخلق الخلق بزمان طويل كما قسم بينكم أرزاقكم) وغيرهم.

٨٣ سورة البقرة/ ١٥

٨٤ ظ: شرح البخاري لابن بطلال: ١٧/ ٢٨٤

٨٥ ظ: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ١/ ٤٨٧.

٨٦ القضاء والقدر: ١/ ٣٣٤. وهذه الزيادة في الحديث لم نجدها في كتب شروح الحديث.

٨٧ نفسه: ١/ ٩٩. هذا القول ذكره ابن عباس في صدد بيانه لمعنى الآية التي استدلت بها البيهقي وهي قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) وقد رواه الفخر الرازي عن ابن عباس، وكذلك رواه السيوطي عن ابن جرير عن آخرين عن ابن عباس في تفسير الآية نفسها. ظ: مفاتيح الغيب: ٧/ ٧٥ والدر المنثور: ٤/ ٢١٣

٨٨ سورة الأعراف/ ٢٩-٣٠

٨٩ ظ: الدر المنثور: ٤/ ٢١٣

- ٩٠ ظ: الكشف: ٢/٢٣٢. وهذا المعنى نقله ابن كثير في تفسيره عن مجاهد والحسن البصري وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير. ظ: تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٠٣.
- ٩١ الدر المنثور: ٤/٢١٣.
- ٩٢ ظ: البحر المحيط: ٥/٣٣٣.
- ٩٣ ظ: تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٠٣.
- ٩٤ القضاء والقدر: ١/٩٧. يروي هذا الحديث ابن حجر في (فتح الباري): ١٨/٣٧٠ وبدر الدين العيني في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري): ٢٣/٢٠٠. ويرويه البيهقي من طريق آخر عن أبي عبد الله الحافظ عن آخرين عن فضالة بن عبيد ٩٥ سورة الأعراف/ ١٨٦
- ٩٦ ظ: مفاتيح الغيب: ٧/٣٢٣.
- ٩٧ ظ: البحر المحيط: ٦/٤.
- ٩٨ ظ: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/٨٤.
- ٩٩ ظ: النكت والعيون: ٢/٣٧.
- ١٠٠ ظ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣/٧٧.
- ١٠١ ظ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٦/٤٦٣.
- ١٠٢ سورة الكهف/ ١٧.
- ١٠٣ ظ: الكشف: ٣/٥٠٠.
- ١٠٤ ظ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٤٦٧ والكشف والبيان: ٨/١١١ وزاد المسير: ٤/٢١٠ وغيرهم.
- ١٠٥ ظ: تفسير القرآن العظيم: ٥/١٤٣.
- ١٠٦ ظ: البحر المحيط: ٧/٤٢٨.
- ١٠٧ ظ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١١/٢٢٩.
- ١٠٨ ظ: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ٧/١١٧.
- ١٠٩ القضاء والقدر: ١/٣١٢. هذه الرواية رواها مسلم بن الحجاج في (صحيح مسلم: ٣/١١) عن إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن المثنى عن آخرين عن ابن عباس، كما رواها ابن رجب عن مسلم بن الحجاج عن سعيد بن جبير عن ابن عباس،

وجاء فيها ((الحمد لله نستعينه) بدلا من (إن الحمد لله نحمده ونستعينه). ظ: فتح الباري: ٦ / ٢٢٢، كما رواها الطحاوي في (بيان مشكل الآثار: ١ / ٣) عن بشر بن عمر الزهراني عن آخرين عن ابن عباس.

١١٠ نفسه: ١ / ٣١٢. هذه الرواية ورد فيها اختلاف عن الرواية الأولى إذ سقطت كلمة (نحمده) وزيدت كلمة (ونستغفره)، وأضيفت عبارة (وأعوذ بالله من شرور أنفسنا).

١١١ نفسه: ١ / ٣١٣. وردت هذه الرواية مقتضبة سقط من أولها عبارة الحمد والاستعانة ومن عبارة الشهادتين. وروى هذه الرواية مسلم بن الحجاج في (صحيح مسلم: ٣ / ١١) عن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ عن وَكِيعٍ عن سُفْيَانَ عن جَعْفَرِ بن محمد الصادق "ع" عن أبيه عن جَابِرِ بن عبد الله الأنصاري، وزاد عبارة (وَحَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ).